

الفرح والحزن

الفرح والحزن توأمان متلاصقان، يتغذى كل منهما من الآخر وعلى الآخر، فمن لا يعرف الفرح، لا يعرف الحزن أيضا. إنهما وجهان لشعور إنساني واحد، إذ بينما يعبر الفرح عن زهو الإنسان وثقته بنفسه، يعبر الحزن عن تواضع الإنسان وعمق مشاعره واعترافه بالضعف أمام المحن. إن من لا يتذوق طعم الحزن، لا يحس بطعم الفرح، ومن لا يعيش آلام الحزن والألم، لا يتعرف على ألوان الغبطة والفرح. ولذا حين يكبر الفرح ويتسامى في عين الإنسان، يشتد الحزن ويتعمق في قلبه، وحين يُكبت الحزن، يصغر الفرح.

من يحاول إخفاء شعوره بالفرح والحزن، لا يتسنى له الشعور بنشوة الفرح كما يجب، ولا يقوى على إدراك عمق الحزن على حقيقته.. لذا كان على الإنسان أن يفرح كلما لاح له قوس فرح، وأن يذهب مع الفرح إلى حدوده القصوى دون شعور بالخوف أو الإحراج، وأن يحزن حين يقع الحزن دون خجل أو وجل، وأن يساير الحزن حتى يرتوي من أحزانه تماما ويجف نهر الدمع في عينيه. فكي يكون الإنسان إنسانا، عليه أن يعبر عن أحاسيسه بأمانة، وأن يترك لكل من الفرح والحزن أن يأخذ مداه دون كبت، ولكن دون مبالغة أو تصنع.

إن الإنسان الذي لا يحزن ولا يفرح كما يجب، هو إنسان تنازل طواعية عن جزء أساسي وهام من إنسانيته، لأن الفرح والحزن هما الهواء والماء اللذان يمدان المشاعر الإنسانية عامة بالرحيق، ويجعلان الحياة تبدو في كل مناسبة وقد لبست حلة جديدة، تتراوح ما بين زهو الربيع ووقار الخريف. حين يغيب الفرح والحزن عن العين، تجف عروق الحب والحنان، وينضب دم الشوق والعشق، ويتحول الإنسان إلى هيكل بشري مفرغ من العواطف المرهفة، والأحاسيس الشفافة المعبرة.

مشكلة العقائدي المتزمت والسياسي المتسلط مع الفرح والحزن كبيرة للغاية، وكذلك مشكلتنا مع كل منهما... إنهما يتحاشيان عادة إبداء الشعور العام بالفرح حتى لا يوصفان بالاستخفاف أو الاستهتار، ويتحاشيان التعبير الصادق عن الحزن حتى لا يوصفان بالضعف أو الانهيار. وفي الحالتين، يبدو كل من العقائدي والسلطوي قائدا قاسيا بلا أحاسيس شفافة، مفكرا بلا مشاعر جياشة، وكيانا إنسانيا بلا عواطف فياضة. وهذا من شأنه أن يجعل كل منهما مشروع إنسان غير مكتمل العواطف، لا يشعر بما نشعر، لا يحس بوجودنا كما نحس بوجوده، لا يفهم مظلما كما يريدنا أن نفهم أو امره، لا يتفهم توسلاتنا كما يريد منا أن نتفهم أعداره وعمق فلسفته، وغير قادر على إقامة العدل بيننا، ولا التجاوب مع أمانينا وتطلعاتنا.